مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة محكّمة،
العدد الثالث والعشرون، ربيع وصيف ١٣٩٥هـ. ش/٢٠١٦م
صص ١١١- ١٢٨

مقاربة لغوية لأفعال الكلام في خطاب الجاحظ
رسالة "المعاش والمعاد" أنموذجاً

مالك ياسين* وملاذ حرفوش**

الملخّص:

مقولة أفعال الكلام واحدة من المقولات التي جاءت بها التداولية اللسانية، وتُقسَم هذه المقولة إلى فعل الكلام، ولازم فعل الكلام، والأثر الذي يحدثه فعل الكلام، فقد عالجت الكلام في الخطاب على أنه يخرج عن كونه ملفوظاً إلى أنه فعل يتحقق، وهذا الفعل يعتمد في تحقّقه على افتراض مسبق بين المتكلم والمتلقي يستحضر فيه كلٌ منهما مرجعياته المسبقة ليأخذ بالكلام على أنه فعل يجب القيام به، ويقوم كل ما سبق على السياق الذي يُعد من أهم عناصر التداولية، وإذا كانت التداولية منهجاً غربياً جاء بمصطلح فعل الكلام ونظريته، فإن التراث لم يخلُ في مدوناته من العمل وفق هذه الدراسة مراعياً مقولة فعل الكلام، لكنه جاء بمصطلحات مختلفة تحت اسم أسلوب الخبر والإنشاء، فقد عمل المتكلم على الأخذ بهذا الأسلوب بهدف التأثير في المتلقي وكسب اهتمامه.

وقد حاولنا في هذا البحث الاستعانة بهذه المقاربة اللسانية بين النظرية الغربية ونظيرتها العربية في دراسة واحد من أهم مصادر التراث لغوياً وفكرياً؛ لنزيد مكتبتنا ثراء لغوياً، ونؤكد عمق ما دُوِّن في التراث.

كلمات مفتاحية: المنهج التداولي، أفعال الكلام، أسلوب الخبر والإنشاء، السياق.

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية (الكاتب المسؤول).

** طالبة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية. malaz19harfosh86@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٠٦/٠٣ هـ.ش= ٢٥/ ٢٠١٥/٠٨ م تاريخ القبول: ١٣٩٥/٠٣/١٩هـ.ش= ٢٠١٦/٠٦/٠٨م

مقدمة

إن مقولة أفعال الكلام واحدة من المقولات التي أفرزتها التداولية والتي عملت على إثبات أن الكلام ينتقل من مجرد كونه أقوالاً إلى تحققه بوصفه فعل كلام وإنجازه كعمل، وفي هذه الدراسة سنقوم بإجراء مقاربة بين هذه المقولة "أفعال الكلام" والتراث، التراث الذي عدّه بعضهم بعيداً عن معطيات النظريات الحديثة، **والهدف** المبتغى من البحث هو إظهار سبق التراث إلى التفكير بما جاءت به النظريات الحديثة والمناهج اللغوية مع اختلاف المصطلحات بين القديم والحديث، ونسعى أيضاً إلى تحليل مدونة تراثية أدبية نبحث فيها عن مدى تأثيرها في المتلقي في محاولةٍ لتعديل أفعاله ومواقفه بحسب ما جاءت به هذه المقولة التداولية، وقد وقع الاختيار على مدونة من مدونات التراث الأدبي وواحدة من فيض الرسائل في العصر العباسي التي ألفها الأديب والمفكر الفذّ "الجاحظ"، الرسائل الأدبية التي تميّزت بقدرتها على أن تنحو في اتجاهات متنوعة شملت الأدب والسياسة والمجتمع والفكر وعلم الكلام وغير ذلك، ومن بين تلك الرسائل انتقيت رسالة "المعاش والمعاد"، الخطاب الذي كتبه إلى أحد رجال الدولة العباسية حين تبّوأ منصباً مهماً في عصره، وعليه فقد ضمّن الكاتب عمله الأدبي أبعاداً سياسية واجتماعية وأخلاقية، وسنبحث في مؤلَّفه هذا عن كيفية تشكّل أفعال الكلام، ومدى اهتمام المكتلم "الجاحظ" بالمتلقي والخطوات التي مهّدها في بناء رسالته للتأثير فيه.

أهمية البحث وضرورته: تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على التراث، وإظهار سبق اللغويين والأدباء القدامى إلى العمل بما جاءت فيه الدراسات الحديثة، وبيان إمكانية دراسة التراث في ضوء النظريات اللسانية، وتأكيد إمكانية دراسة مدوّنة أحد أهم أدباء العصر العباسي في القرنين الثاني والثالث وفق نظرية أفعال الكلام؛ لإظهار دور أفعال الكلام في الخطاب وتأثيرها المباشر في المتلقي.

منهج البحث: المنهج الوصفي هو المنهج المتّبع في البحث النظري واستقصاء المنهج التداولي ونظرية أفعال الكلام، وأدواته الجمع والترتيب والتصنيف والمقارنة والملاحظة، أما الجانب التطبيقي من البحث المتمثّل في تحليل رسالة "الجاحظ" فسيتمّ في ضوء التداولية ومقولة أفعال الكلام.

سابقة البحث: تنوعت الدراسات التي تناولت التداولية ومقولاتها المتعددة، ومن أهم المصادر المترجمة كتاب "**التداولية من أوستين إلى غوفمان**" لمؤلفه "**فيليب بلانشيه**"، وقد فصّل الذكر في أفعال الكلام وأشكاله عند كلّ من "أوستين" وتلميذه "سورل"، وقد أفدت منه في فهم انتقال الكلام إلى فعل كلام، أما الدراسات العربية فأذكر منها كتاب د."**مسعود صحراوي**" الذي أقام فيه مقاربة لغوية بلاغية لأفعال

الكلام في كتابه "**التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**"، مساهماً في تأصيل هذه المقولة في التراث، فضلاً على مصادر ومراجع مختلفة كانت عوناً على إنجاز هذا البحث.

أسئلة البحث وفرضياته: تعددت الأسئلة والاستفسارات حول إمكانية أن تكون الكلمات أفعالاً، فإن كانت البحوث والدراسات قد عملت على تقريب هذه المسألة لغوياً وبلاغياً، فالسؤال الذي يحضُّنا على البحث هو: إلى أي حدّ نستطيع أن نؤصل ما يصل إلينا من العلماء الغربيين في التراث، وإن فرضنا إمكانية التأصيل فإلى أية درجة استطاع "الجاحظ" أن يجعل الكلام فعلاً يأخذ المتلقي به في عصره، وما دور السياق في هذه العملية اللغوية.

تمهيد نظري:

أفعال الكلام إحدى ركائز التداولية* ومقولاتها، وهو مصطلح يعود إلى "أوستين" Austin والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً ما[١]، وقد ميز "أوستين" ثلاثة أنواع لأفعال الكلام:

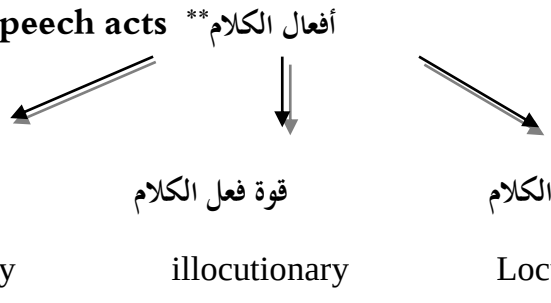

* انبثقت التداولية عن تقسيم "شارل موريس" لمجالات ثلاثة في الإحاطة باللغة: علم التركيب- علم الدلالة- علم التداولية؛ والتداولية تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة واستعمالها وآثارها، معالجة وصف معنى الملفوظات في سياقها. (يُنظر: دومينيك مانغونو، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ص١٠١).

وهي دراسة تختص بالمعنى كما يوصله المتكلم ويفسره القارئ، وتتضمن أيضاً تفسير مقاصد الناس في سياق معين؛ لذا هي دراسة المعنى السياقي، وهي كيفية إظهار أكثر مما يُقال، (يُنظر: جورج يول، **التداولية Pragmatics**، ص١٩).

ويُنظر: Gorge Yule،**Pragmatics** ، p:3

١- يُنظر: دومينيك مانغونو، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، نفسه، ص٧.

** ويعرف بالفعل التعبيري، والوظيفي، والتأثيري، جورج يول، **التداولية pragmatics**، نفسه، ص٨٢-٨٣.

٢- جون لانكشو أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ص١٣٣.

ويُنظر: Austin،**How to do things with words**.، p: 102-103

يرى "أوستين"*** أن النطق بجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه، فقول: نعم، للإجابة على طلب الزواج في أثناء مراسيم الزواج، هو فعل كلام[١]، فالملفوظ هنا يحقق إنجازاً وعملاً ويتمم الزواج مع أنه مجرد كلام لكنه جاء ضمن سياق مراسيم الزواج.

وقد صنف الأقوال إلى الأقوال الوصفية وهي الخبرية، والأقوال الإنشائية وهي الإنجازية[٢]؛ وعليه تُعدّ نظرية أفعال الكلام من مباحث علم المعاني في التراث، فأسلوب "الخبر والإنشاء" عند العرب مكافئ لنظرية أفعال الكلام في المنهج التداولي[٣]؛ لذا يمكن إجراء مقاربة لغوية وتصنيف أسلوب الخبر والإنشاء ضمن أفعال الكلام.

فعل القول **locutionary** :

أكد "سيرل"* فكرة مفادها أن العنصر الأساسي في التواصل الإنساني ليس مقطعاً داخلياً في اللغة مثل "الكلمة" وإنما هو عمل القول[٤]، وفعل القول هو الإنتاج الفردي في سياق محدد والذي يثمر عن قول ما، وهو فعل استعمال اللغة على المستوى الفردي، في حين أن القول هو نتيجة هذا الفعل[٥]، فالكلام هنا عمل فردي، وهو عبارة عن ألفاظ مجردة ومتواضع عليها، لكنها تحقق عملاً ما؛ أي إن قول شيء يعني العمل به.

*** **جون أوستين John Austin** لساني بريطاني (١٩١١-١٩٦٠)، كتب مقالات عن التداولية جُمعت في كتاب: How to do things with words، انظر: جاك موشلار ؛ آن روبول، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، ص٢٤٣.

١ - يُنظر: جون لانكشو أوستين، **نظرية أفعال الكلام**، نفسه، ص١٦.

٢ - يُنظر: جاك موشلار؛ وآن روبول، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، نفسه، ص٢٧٢.

٣ - يُنظر: د.مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، ص٤٩.

* **جون روجرز سيرل John Rogers Serle** فيلسوف أمريكي، ولد ١٩٣٢. تلميذ "أوستين". اعتبر أن وحدة التواصل هي العمل اللغوي. أهم مؤلفاته: Expression and Meaning،1979 و : Speech Acts. An Essay in the Philosophy of Language،1969. انظر: : جاك موشلار؛ و آن روبول، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، نفسه ص٢٤١.

٤- يُنظر: فيليب بلانشيه، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص٥٥.

٥- يُنظر: كاترين كيربرات، وأوركيوني، **المضمر**، ص ٦٥٨.

الفعل المتضمن في القول illocutionary :

اقترح "أوستين" خمسة أقسام للأعمال اللاقولية، هي: الحكميات، والتنفيذيات، والوعديات، والسلوكيات، والعرضيات[١]، ولقد كان اللاقول هو المظهر الأساسي الذي استرعى انتباه "أوستين" ، ثم "سيرل"[٢]، فإذا كان (فعل القول) يمثل التلفظ بالكلمة التي تحمل فعل كلام فإن النموذج الثاني (الفعل المتضمن في القول) يُعنى بتحقق هذا اللفظ من خلال إطلاق الأحكام وطلب الالتزام بسلوكيات محددة أو تقديم وعد والالتزام فيه، وسأحاول في البحث مقاربة مصطلحات كلّ من "أوستين" و"سيرل" في دراسة العمل اللاقولي في الرسالة، من مثل قول "الجاحظ": **"اعلم أنَّ إشاعةَ الأسرار فسادٌ"**[٣]، فاستعماله صيغة الأمر جاء على سبيل "التنفيذيات" رغبة منه في إنصات المتلقي إليه وتنفيذه النصح المقدم بحفظ الأسرار وعدم البوح بها.

ويمكن عدّ فعل اللاقول مفهوماً إجرائياً تداولياً يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب خفية وضمنية من قوانين الخطاب، وأهم ما جاء فيها الافتراض المسبق أو المضمرات التداولية[٤].

الافتراض المسبق: المثال الشهير الذي تناوله "سيرل" في كتابه "المعنى والعبارة" هو: **هل تستطيع أن تناولني الملح؟** والمتكلم لا يطرح بملفوظه استفهاماً ولكنه يدعو إلى القيام بالعمل[٥]؛ الافتراض المسبق يعني أن المتكلم يريد الملح، ولكنه يطلبه بشكل غير مباشر، فهو لا يسأل عن إمكانية القيام بهذا الفعل بل يطلب القيام به، والمتلقي يعي مسبقاً الطلب الكامن وراء الاستفهام، إذن "في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة"[٦]، ونمثل بقول "الجاحظ": **"اعلم أنَّكَ ستصحب من الناس أجناساً متفرِّقةً حالاتُهم، متفاوتةً**

١- يُنظر: فيليب بلانشيه، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، نفسه، ص٦٢.

٢- السابق نفسه، ص٦١.

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١، ص١١٦.

٤- يُنظر: د.مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، نفسه، ص٣٠.

٥- يُنظر: فيليب بلانشيه، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، نفسه، ص٦٨.

٦- د.مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، نفسه، ٣٠-٣١.

منازلُهم، وكلُّهم بك إليه حاجة"[١]، فطلبُ المتكلم من المتلقي أخذَ العلم باختلاف الشعوب وتباين مشاربهم جاء على صيغة الأمر "اعلم"، وهو لا يستوجب الإلزام بالفعل وحتمية القيام به، يأتي هنا دور الافتراض المسبق المبني على المرجعيات المختلفة لكل من المتكلم والمتلقي ليفسح المجال أمام المتلقي لفهم المعنى المضمر والغرض المطلوب من فعل الأمر وهو تقديم العون وإسداء النصيحة.

المحتوى القضوي propositional content: ركز "ديكرو" على المصطلح فرأى في الاقتضاء "عملاً لغوياً وموقفاً من المتكلم، فكل عمل لا قولي يفترض تحقيق عمل اقتضاء"[٢]؛ فالأنموذج الثاني من فعل الكلام "الفعل اللاقولي" يقتضي فعلاً ما، وهو شرط لاستعمال اللغة، وعلاقة تداولية بين الأقوال[٣]، فالمعنى يقتضي معنى آخر وعليه تُبنى العبارات والكلمات وتتعالق فيما بينها ضمن سياق محدد، مثاله قول الجاحظ: **"واعلم أنَّ السَّرَف لا بقاءَ معه لكثير، ولا تثميرَ معه لِقليل، ولا تصلح عليه دنيا ولا دين"**[٤]، إن الاقتضاء الكلامي يحث المتلقي على تبنّي موقف اقتصادي في حياته، وعليه يصلح معاشه ومعاده.

فإذا بُنِي الافتراض المسبق على فهم السياق وإدراك المعنى من خلال المرجعيات المشتركة بين الطرفين وتكوين صورة جليّة عن المعنى الضمني، فإن المحتوى القضوي يعمل على حث المتلقي على الأخذ بالمعنى الضمني والعمل بمقتضاه.

الفعل الناتج عن القول perlocutionary :

هو النتيجة المترتبة على فعل الكلام، وهو الغرض الذي يسعى إليه المتكلم من الفعل القولي واللاقولي، فإذا كان فعل الكلام يمثل الكلمات والألفاظ، وفعل اللاقول يمثل الغرض المطلوب من الكلام، فإن الفعل الناتج عن القول هو ردة فعل المتلقي على الكلام واستجابته إليه وتأثّره فيه.

١- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، نفسه، ص١١٧.

٢- حمادي صمود، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص ٣٧١-٣٧٢.

٣- يُنظر: آن روبول؛ و جاك موشلر، **القاموس الموسوعي للتداولية**، نفسه، ص ٢٤٠.

٤- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، نفسه، ص١١٣.

يمكننا القول عن دراسة اللغة في الاستعمال إنها "منهج قائم في منظوماتنا التراثية... وما تصنيفهم للكلام إلى خبر وإنشاء وطلب... إلا دليل على تلك الدقة"[١]، وقد دأب اللغويون العرب على إجراء مقاربة لأفعال الكلام في دراسة النصوص والخطابات، فعلى سبيل المثال قدم د.مسعود صحراوي صورة عن كيفية قيام أسلوب الخبر والإنشاء بدور أفعال الكلام، فإن العلماء العرب انتقلوا من التمييز بين الخبر والإنشاء من معيار قبول الخبر للصدق والكذب، والإنشاء بعدم قبولها، وهو معيار إيجاد النسبة الخارجية، لكن القول بمبدأ القصد الذي قال به "الدسوقي" قد قوّى التوجه التداولي في تحليلات العلماء العرب وأبعدها عن حدية الأدوات المنطقية[٢]، وسأبين في هذه الدراسة تداولية أفعال الكلام في رسالة للجاحظ أنموذجاً.

دراسة أفعال الكلام في رسالة "المعاش والمعاد":

١-الأسلوب الخبري:

جاء في رسالة "**المعاش والمعاد**"* قوله: "**أرى ظواهر أمورك المحمودةِ فتدعوني إلى الانقطاع، وأسأل عن بواطن أحوالك فتزيدني رغبةً في الاتِّصال بك**"[٣]، إن المتكلم يصدر في أسلوبه الخبري حكماً وتقريراً يتعلق بالمخاطَب، ليُصنَّف الخبر بناء عليه ضمن إطار التقريريات، فقد نظر إلى ظواهر أحواله وبواطن نفسه وخلص منهما إلى الإيمان بتقوى هذا الشخص وحسن باطنه ونواياه.

وقوله: "**أجمعت الحكماءُ أنَّ العقل المطبوع والكرمَ الغريزيّ لا يبلغان غايةَ الكمال إلَّا بمعاونة العقل المكتسَب. ومثَّلوا ذلك بالنَّار والحطب، والمِصباح والدُّهن**"[٤]، يتبنى قول الحكماء وحكمهم اليقيني بأن الطبع أساس غريزي لدى الإنسان يجعله ذا طبع واحد من حب الخير ونقض الشر، لكن للتطبع والاكتساب أثراً كبيراً في استواء الإنسان أخلاقياً، والحفاظ على سوية تفكيره وحسن انتقاءاته، أو

١- د.لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، **الكلام عملاً مقاربة تداولية**، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، ص٦٠-٦١.

٢- يُنظر: صحراوي، **د.مسعود. التداولية عند العلماء العرب**، نفسه، ص٧١.

* رسالة "**المعاش والمعاد**" كتبها إلى "محمد بن أحمد بن أبي دؤاد" قاضي بغداد، حاول أن يرشده ويوجهه نظراً لحداثة سنه بعد استلامه منصب أبيه "أحمد بن أبي دؤاد" في القضاء. وقد تمت العودة لنسخة أخرى من رسائل الجاحظ نظراً لتقديم المحقق شرحاً للرسائل، انظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **رسائل الجاحظ الرسائل السياسية**، ص٩.

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص٩٣.

٤- السابق نفسه، ص٩٦.

في انحرافه وسوء اختياراته، وقد حمل الخبر حكماً مسبقاً بأن الممدوح من أصحاب العقل السليم والمذهب السويّ.

وقد لجأ إلى التوكيد في أسلوب الخبر، والتأكيد فعل كلامي[١]، فهو يذكّر المتلقي بضرورة العمل الصالح الذي حضّ الله عليه فيقول: " ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ● وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾. **وهذا مثلٌ ضربَه الله؛ لأنَّ الناس يعلمون أن لو وضع في إحدى كفَّتَي الميزان شيءٌ ولم يكُ في الأخرى قليلٌ ولا كثير، لم يكنْ للوزنِ معنًى يُعقَل. وذلك أن أحداً من الخلق لا يخلو من هَفوةٍ أو زَلّة أو غَفلة؛ فأخبرَ أنَّ من كان حسناتُه الراجحةَ... كان على سبيل النجاة، وطريق الفوز بالإفلاح. ومن مالت سيِّئاته بحسناته كان العطبُ والعذاب أولَى به**"[٢]، إن السياق التداولي يتكون من مجموعة عوامل نفسية واجتماعية تحدد مناسبة أفعال اللغة ومن ضمنها المعرفة والرغبات والإرادة عند مستعملي اللغة[٣].

وكون التداولية تُعنى بالسياق* نجد أن المتكلم قد اعتنى بالسياقين الديني والاجتماعي، فقد حضّ المتلقي على عمل الحسنات مستحضراً قوله تعالى على سبيل التأثير فيه وتعديل موقفه، وعلى سبيل التقريريات يحضّ المستمع على الأخذ بقوله تعالى والعمل على رفع مستوى الحسنات حتى تطغى على السيئات، وقد جاء توكيده بأداة التشبيه (أن الناس- أن أحداً- أن من كان) ليُحمّل خطابه طاقة تأثيرية أكبر.

و"**كذلك جَرتْ معاملاتُ الخَلْق بينهم، يُعدِّلون العادلَ بالغالب من فعله وربَّما أساء، ويفسِّقون الفاسق وربَّما أحسن... فهذه الأمورُ قائمةٌ في العقول، جرت عليها المعاملة، واستقامت بها السياسة لا اختلافَ بين الأمَّة فيها**"[٤]، كون المتكلم معتزلي الفكر، نراه يحضّ الآخرين على التأمل بمبادئ المعتزلة، ومن ثمّ الأخذ بتوجههم العقلي، فعلى المتلقي أن ينظر إلى المعنى الضمني للكلام وأن

١- يُنظر: د.مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، نفسه، ص٢٠٦.

٢- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٠١. المؤمنون: ١٠٢-١٠٣.

٣- يُنظر: فان ديك ؛ وآخرون، **نظرية الأدب في القرن العشرين**، ص٦٧.

* للسياق نوعان لغوي: يرتبط بالصوت، والصرف، والنحو... وسياق غير لغوي: يرتبط بالملابسات التي تحيط بالحدث الكلامي. د.عبد القادر عبد الجليل، **علم اللسانيات الحديث نظم التحكم وقواعد البيانات**، ص ٥٤٢ وما بعدها.

٤- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٠٢.

يُعمِل العقل في القياس والاستنتاج، وأن يضع الأمور في نصابها، فالافتراض المسبق والمرجعية الدينية والاجتماعية لكل من المتكلم والمتلقي تقضي بأهمية تحكيم العقل وترجيح كفته.

ويقف عند نقطة مهمة في الحياة عامة فيقول: "**المنفعةُ توجب المحبَّة، والمَضرّة توجب البغضاء... والصِّدقُ يوجب الثِّقة، والكذب يُورث التُّهمة، والأمانة توجب الطُّمأنينة، والعدل يوجب إمتاع القُلوب... ولكلِّ شي من هذا إفراط وتقصير، وإنَّما تصحُّ نتائجها إذا أُقيمت على حدودها، وبقدر ما يدخل مِن الخلل فيها يدخُل فيما يتولَّد منها**"[١]، المتكلم لا يستطيع أن يُفلت من مرجعياته وثقافته، فكونه معتزلياً نجده من أنصار الاعتدال في الأمور والتوسط في الاختيارات، وقد كان متكلماً مفوّهاً في عصره فلابد له من مراعاة السياقات الاجتماعية والدينية والسياسية التي كانت تعمل على إعلاء مبادئ المعتزلة، وبناء عليه يدعو المتلقي في أسلوبه الخبري المباشر إلى التوسط في الخيارات وإقامة كل عمل على حدوده "إنما تصح نتائجها إذا أقيمت على حدودها" ضماناً لحسن العاقبة تشبثاً بتعاليم الدين.

ويقول: "**وأنا أوصيك بخلقٍ قلَّ من رأيته يتخلَّق به، وذاك أنَّ مَحمِله شديد، ومرتقاه صعب... ألَّا يُحدثَ لك انحطاطُ من حَطّتِ الدُّنيا من إخوانك استهانةً به، ولا لحقِّه إضاعة... ولا يحدث لك ارتفاعُ من رفعت الدنيا منهم تذلُّلاً وإيثاراً له على نظرائه في الحفظ والإكرام**"[٢]، ما يتكلم عليه المتلقي نابع من تجارب حياتيّه تقتضي أن يتحلى الإنسان بالأخلاق الحسنة في تعامله مع الآخرين على اختلاف أحوالهم وتقلب الزمن بهم، ففي قوله: "أنا أوصيك" دعوة للأخذ بوصيته والعمل في ضوئها.

٢-الإنشاء:

أ- الإنشاء الطلبي:

أسلوب الأمر*: يخرج الأمر عن معناه الوضعي الإلزامي وطلب القيام بأمر ما إلى صيغ أخرى في الخطاب منها:

النصح والإرشاد: جاءت في رسالة "**المعاش والمعاد**" صيغ أمر متلاحقة ومكثّفة، وقد خرجت عن معناها لتأخذ شكل إسداء النصيحة إلى المخاطَب، ويبدؤها بالنصح على الصعيد الديني فيقول: "**أقامَ الرَّغبة والرَّهبةَ على حدود العَدل، وموازين النَّصَفة... فالرَّغبة والرَّهبة أصلا كلِّ تدبير، وعليهما مدار**

[١]- السابق نفسه، ص١١٠.

[٢]- السابق نفسه، ص١٢٨.

* خروج الأمر عن معناه إلى معان مختلفة، يُراجع: الخطيب القزويني، **الإيضاح في شرح البلاغة**، ص١٠٣-١٠٤.

كلِّ سياسة... فاجعلْهما مِثالَك الذي تَحتذِي عليه، وركنَك الذي تستنِد إليه"[١]، إن "الناس برأيه لا ينقادون إلا لمنافعهم (الترغيب) ولا يخضعون إلا لصاحب القوة (الترهيب). والمثال على ذلك ما جاء به القرآن من الوعد والوعيد"[٢]، فالرغبة سبيل الوصول إلى الله ونيل الحسنات، والرهبة رادع يقي من عقاب الآخرة، فهو يبين للمتلقي أن الله تعالى عادل وعلى المتلقي أن يتعظ في حياته وأن يدرك هذا العدل الإلهي، ويدعوه بكلمة (اجعلهما) إلى الأخذ بمنحيي الرغبة والرهبة في مجال عمله لضمان حسن معاده، ويمكن أن نصنف هذا النوع من الأمر تحت "التنفيذيات"، كون المتكلم يحض على الالتزام الديني والقضاء بالعدل بين عامة الناس.

وعلى سبيل النصح الاجتماعي يقول: "**اعلم أنَّ إجراءك الأمورَ مجاريَها، واستعمالَك الأشياءَ على وجوهها، يجمع لك أُلفةَ القلوب، فيعاملك كلُّ من عاملَك بمودّةٍ... وهو على ثقةٍ من بَصَرك بمواضع الإنصاف، وعلمك بموارد الأمور**"[٣]، فهو يدعوه إلى القيام بأعماله ومهامه على وجه الدقة والصواب لكسب ودّ الآخرين ومحبتهم، أما على الصعيد السياسي فيقول: "**اجعل العدلَ والنَّصَفة في الثَّواب والعقاب حاكَماً بينك وبين إخْوانك، فمن قدَّمت منهم فقَدِّمْه على الاستحقاق، وبصحة النّيّة في مودته**"[٤]، "الرغبة والرهبة لا تصلحان إلا إذا قرنتا بالعدل. فالعدل هو الأصل الثالث للسياسة، وهو يعني الإنصاف والمساواة"[٥]، ومن أهم صفات الحاكم العدل والإنصاف، والعدل* أحد مبادئ المعتزلة الخمسة، وهو ما يشير إليه الجاحظ هنا.

وفي تقديم النصائح على الصعيد الاقتصادي والمالي يقول: "**اعلم أنَّ تثمير المال آلةٌ للمكارم، وعونٌ على الدِّين، ومُتَأَلَّفٌ للإخوان؛ وأنَّ مَن قد فَقدَ المال قلَّت الرغبة إليه، والرَّهبة منه؛ ومَن لم يكنْ بموضعِ رغبةٍ ولا رهبة استهانَ النّاسُ بقدره**"[٦]، في هذا الموضع يدعو إلى التوسط في الأمور، وهو

---

[١]- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٠٤-١٠٥.

[٢]- د.علي أبو ملحم، **المناحي الفلسفية عند الجاحظ**، ص٢٧٤.

[٣]- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٠٦.

[٤]- السابق نفسه، ص١٠٧.

[٥]- الجاحظ، **رسائل الجاحظ الرسائل السياسية**، نفسه، ص١٠.

* من مبادئ المعتزلة العدل والتوحيد، يُراجع: صلاح أبو السعود، **المعتزلة نشأتهم فرقهم آرائهم الفكرية**، ص٥٠ وما بعدها.

[٦]- يُنظر: الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١١٢.

ما يطلق عليه (الاقتصاد) [١]، والمسألة هنا دقيقة الفهم؛ فهو يدعو إلى الاعتدال في صرف الأموال، وتداولها بغير تقتير أو تبذير بهدف الحفاظ على الدين، فقد ربط المال بالدين، وربطه بالعبادة والطاعة، لأن بذل المال وإنفاقه يفترض أن يكون بما يُرضي الله، ويدعو كذلك إلى الحفاظ على المال في حال عدم الحاجة إليه؛ ذلك أنه يربط بينه وبين الهيبة التي يكسبها صاحب الاقتصاد من خلال قوته المادية؛ فمن فقد ماله "قلت الرغبة فيه والرهبة منه، ومن لم يكن موضع رغبة ولا رهبة استهان الناس بقدره"[٢].

ومن جانب أخلاقي نراه يحمّل كلامه طاقة تأثيرية عندما يقول: "**اعلم أنَّ إشاعةَ الأسرار فسادٌ في كلِّ وجهٍ من الوجوه، من العدوّ والصديق**"[٣]، فيمكن اعتقاد هذا النوع من النصح تحت اسم "السلوكيات" وفق تصنيف "أوستين"، فحفظُ الأسرار وكتمانها من أهم المبادئ الأخلاقية لدى الإنسان، وهي إحدى السلوكيات التي تفرض الاحترام المتبادل بين الطرفين، فكيف بنا ونحن أمام متلقٍ مخصوص يتبوأ منصباً سياسياً في عصره، ما يحمّله مسؤولية أكبر في سلوكه وأعماله.

ولم يُغفل العامل السياسي في التعامل مع الناس، فنجده يصف واقع حال العدو والصديق على أن كلاً منهما يتطلب معاملة تختلف عن الآخر، يقول: "**اعلم أنَّ الذي تُعامِل به صديقَك هو ضدَّ ما تعامل به عدوَّك. فالصَّديقُ وجهُ معاملتِه المسالمةُ، والعدوُّ وجهُ معاملته المداراةُ والموارَبة... فضَع الثِّقةَ موضعَها، وأقم الحذرَ مُقامَه**"[٤]، إن الحالة التي يتأهب لها الشخص تختلف في هيئتها وطبيعتها ما بين الصديق والعدو، على أنك يجب أن تسلم لأحدهما وتحذر الآخر، ونحن أمام شخصية يحيط بها جمع من الأعداء والمتملقين، والأصحاب والمحبين، فيصور له المقام الذي ينبغي أن يكون عليه، فالمتكلم يهيئ المتلقي ويرسم له سلوكياته.

وفي العامل النفسي نفسه نقف عند نصح يوجهه إلى المتلقي: "**اقتصِدْ في مِزاجك؛ فإنَّ الإفراط فيه يذهب بالبهاء، ويجرِّئ عليك أهل الدَّناءَة. وإنَّ التقصير فيه يَقبِض عنك المؤانسين. فإن مزحت فلا تمزَحْ بالذي يسوءُ مُعاشِريك**"[٥]، فالاعتدال سيد الموقف، والمزاج عند ذوي الشأن وأولي الأمر له

١- د.عبد الحكيم راضي، **الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ**، ص١٣٨.

٢- د.علي أبو ملحم، **المناحي الفلسفية**، نفسه، ص٢٧٥.

٣- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص ١١٦.

٤- السابق نفسه، ص١١٨-١١٩.

٥- السابق نفسه، ص١٢٨.

حدود لا يجوز تخطيها، فنراه هنا يدرس دقائق الحالة النفسية وينصح بخبرة العارف ويشير إلى ضرورة الانتباه إليها.

التلهيف: يخرج الأمر عن مجرد الإلزام بقيام أمر ما إلى غرض التحريض والتشويق، فهو يدعو المتلقي إلى الأخذ بجوانب الأمور المختلفة، جيدها وسيّئها؛ لغايات سياسية سلطوية: "**اعلم أنَّه ليس من الأخلاق التي ذمَّتْها الحكماء خُلقٌ إلا وقد ينفُع في بعض الحالات، ويردُّ بِه شَكْله... إنَّك ستُمنَى بصُحبة السُّلطان الحازم العادل، وبصحبة السلطان الأخرق الجهول الغَشُوم. فالحازم العادلُ يَسُوسه لك الأدبُ والنُّصح، والأخرق تسوسُه لك الحِيلة والرِّفق**"[١]، نراه "يحثه على استعمال الأدب والنصح في معاملة السلطان العادل، وعلى استعمال الحيلة والرفق في معاملة السلطان الأخرق"[٢]، فيلهّف متلقيه من خلال بيان الفائدة التي تُرجى من أصناف الناس المختلفة، على سبيل الحنكة السياسية التي تكمن في استيعاب الآخر ومداراته.

التنبيه والتحذير: يخرج الأمر إلى صيغة التنبيه يقول: "**احذرْ كل الحذر أن يختدعَك الشيطان عن الحزْم فيمثِّلَ لك التَّواني في صورة التوكُّل، ويسلبَك الحذر، ويُورثَك الهُوَينا بإحالتك على الأقدار**"[٣]، إن "موقف الجاحظ من التوكل يخالف موقف أهل الجماعة الذين يقولون بالقضاء والقدر وشعارهم أنه لا يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، ينكر الجاحظ هذا الاعتقاد ويرى أنه من الخطأ إحالة الأمور على الأقدار، لأن ذلك يدفع الإنسان إلى التواني"[٤]، فيحذره من مغبة الاستماع إلى النفس المتقاعسة التي تُرجئ أمورها إلى القدر وتتواكل في تنفيذها.

ويقول أيضاً أنك سترى من الناس "**من شيمته الوفاءُ يفي للصَّديق والعدوّ، ومَن طبيعتُه الغَّدرُ لا يفي لأحد، وإنما يميل مع الرُّجحان، يذلُّ عند الحاجَة ويشمخ مع الاستغناء. فاحذر ذلك أشد الحذر**"[٥]، فيجب توخي الحذر من أصناف الناس المختلفة، والانتباه إلى مكامن صدورهم، وتمييز الحسن من السيء وخاصة لمن يقع في مقام المتلقي الذي يتبوأ منصباً مهماً وعملاً مركزياً في الدولة.

١- السابق نفسه، ص١٣٢.

٢- الجاحظ، **رسائل الجاحظ الرسائل السياسية**، نفسه، ص١١.

٣- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١١١.

٤- د. علي أبو ملحم، **المناحي الفلسفية**، نفسه، ص٢٦٠.

٥- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٢٣.

إن الشخص الذي ينجز العمل يجب أن يكون له الحق أو السلطة للقيام به، وهذا يخضع للشروط التمهيدية التي وضعها "أوستين"[١]، والمتكلم يعتقد أنه صاحب معرفة وخبرة وباع طويل في القضايا السياسية والاجتماعية والدينية؛ ويظن أنه في مقام يسمح له بتوجيه دفعة الإلزامات والطلبات التي تخرج عن معناها المباشر لكنها تبقى ضمن حدود التوجيه والإرشاد.

٢–النهي*: نجد أن النهي قد خرج أيضاً عن معناه الأصلي وتجاوزه ليغدو نصحاً وإرشاداً، فنراه ينصح المتلقي في "**المعاد والمعاش**" بقوله: "**لا يحملنَّك استطرافُ صديق ثانٍ على ملالةٍ للصَّديق الأول؛ فإن ذلك سبيلُ أهل الجهالة، مع ما فيها من الدناءة وسوء التدبير**"[٢]، فهو لا يمنع بنهيه بل يسدي نصيحة مفيدة من حصيلة خبرته بأنه عليك أن تُحسن إلى كلا الصديقين القديم والمستطرف، وكأنه يوحي ضمنياً بأن علاقته مع المتلقي نتاج صحبة قديمة معه ومع والده، وأن أياً ممن سيأتي بعده لا يستحق أن يأخذ مكانه ومكانته، على أن ذلك من أفعال الجهّال.

وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية أيضاً ينصح قائلاً: "**لا يدعونَّك كفرُ كافرٍ لبعض نِعَمك ممن آثر هواه على دينه ومروءته، أو غَدْرةُ غادرٍ تصنَّعَ لك وخَتَلك عن مالِكَ، أن تزهدَ في الإنعام، وتسيء بثقاتك الظنون؛ فإن هذا موضع يجد الشيطان في مثله الذّريعةَ إلى استفساد الصَّنائع، وتعطيل المكارم**"[٣]، فهو يدعو إلى استبانة حقائق الأمور، وعدم الإذعان إلى كل ما يقال خشية أن تُفسد مالك وتُضيّع محاسنك بأخطاء غيرك، وهو يتكلم في ضوء السياق الاجتماعي الذي يعجّ بالمغرضين والحاسدين الذين يسعون إلى هدم الأخلاق الحسنة وتضييعها.

٣–الاستفهام:

في بداية خطابه يقول إنه ألّف رسالته ليبين طبيعة الناس و"**كيف تفترق بهم الحالات... وفرقَ ما بين الطَّبع الأول وبين الاكتساب والعادةِ... ولم اختلفَ ذلك؟ وكيف دواعي قلوبِ الناس... وما أسباب نوازع شهواتهم؟ وما الشيء الذي يُحتال لقلوبهم به حتى تُستمال، وحتى تُؤنَس بعد**

١– لاحظ "أوستين" وجود شروط لنجاح العمل اللاقولي، ويمكن جمعها في ثلاثة أصناف على النحو الذي فعله "سيرل"، هي: الشروط التمهيدية، وشروط النزاهة، والشروط الجوهرية. صابر حباشة، **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**، ص٨٤–٨٥.

* الخطيب القزويني، **الإيضاح في شرح البلاغة**، نفسه، ص١٠٤–١٠٥.

٢– الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٢٣.

٣– الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص١٣٠–١٣١.

الوَحْشة، وتَسكن بعد النِّفار؟..."[١]، فالمتكلم في جملة الأسئلة السابقة لا يبحث عن أجوبة أو ينتظر ردوداً، إنما يسعى إلى إثارة التساؤلات في ذهن المتلقي، وهي جملة من المحفزات والأفكار التي تتعلق بالطبيعة البشرية، يلجأ المتكلم من خلالها إلى تحريك ذهن السامع لتمكينه من استقبال الأفكار التي سيعرضها المتكلم، وبذلك يخرج الاستفهام عن أصل وضعه إلى العرضيات، فينقلب الكلام إلى فعل كلام في محاولة إدخال المتلقي في الخطاب.

٤-التمني:

إن الدعاء تداولياً من أفعال الكلام[٢]، وفي قوله "**عرَفتك -أكرَمك الله- في أيام الحداثة**"[٣]، نجد المتكلم يدعو الله أن يُكرم المتلقي في أثناء حديثه عن الممدوح، ودعاؤه موظف لجذب المتلقي وكسب وده لعله يثق فيه ويصغي إليه، ويقول "**لم أزَلْ -أبقاك الله- في أحوالك تلك كلِّها بفضيلتك عارفاً**"[٤]، ويكرر في غير موضع دعاءه بعبارة مختلفة يدعو فيها الله أن يُبقي المتلقي ويحفظه، فيستمر في محاولة منه لرفع مستوى التودد والألفة بينهما وتمكينه ضماناً لحسن استماعه، فالدعاء يفيد معنى التمني والرغبة التي يستغلها المخاطب للوصول إلى غايته ومقصده من متلقيه.

الإنشاء غير الطلبي:

القَسَم: يرى أن شكر ذي الفضل والنعمة واجب عقلاً "**لعمري إنَّ ذلك لمَوجودٌ في الفطرة، قائم في العَقْل: أنَّ مَن كفر نِعَم الخَلْق كان لنِعم الله أكفر؛ لأنَّ الخلق يُعطي بعضُهم بعضاً بالكُلْفة والمشقَّة، وثِقَل العطية على القلوب، واللهُ يعطي بلا كُلْفة**"[٥]، إن التداولية تسعى إلى الكشف عن قصدية المتكلم من خلال إحالة الكلام على السياق[٦]، فنجد أن المتكلم قد حرص في رسالته على توجيه المتلقي بطرق شتى إلى المعنى الضمني والمقصد الأساسي الكامن في تفضيل المذهب الاعتزالي وتبنيه إياه وتحريض المتلقي على الثبات عليه، فالشكر عند المعتزلة واجب عقلاً، وأسلوب القسم يعزز موقفه

١- السابق نفسه، ص٩٧.

٢- يُنظر: د.مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، نفسه، ص٢١٥.

٣- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص٩١.

٤- السابق نفسه، ص٩٣.

٥- السابق نفسه، ص٩٥.

٦- يُنظر: د.عماد عبد يحيى الحيالي، و د.أشواق محمد إسماعيل النجار، **الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم**، مجلة جامعة تكريت، ص٦٣.

ويدعم فكره فيزيد تأثير الكلام في المتلقي، ويندرج هنا تحت اسم "الحكميات" فهو يرى أن الشكر واجب ومحتم على الناس، فيحثّ على أداء الشكر والاعتراف بالفضل لذوي الفضل.

ويحرّض على تقوى الله والإيمان به "**أوّلُ ما أُوصيك به ونفسي تقوى الله؛ فإنَّهَا جِماعُ كلِّ خير، وسببُ كلِّ نجاة... وأحذرّك ونفسي اللهَ والاغترار به، والإدهان في أمره، والاستهانةَ بعزائمه، والأمْنَ لمكره؛ فقد رأيتَ آثارَه في أهل وِلايته وعداوته، كيف جعلهم للماضين عِبرةً**"[١]، فيقسم بنفسه "ونفسي" على ألا تستهين في إيمانك بالله وأن تحذر غضبه، وأن تتقرب من الله بالعمل الصالح كسباً لرضاه وتوفيقه.

وله موقف آخر يقول فيه: "**الحكماء قد أجمعت أنَّ مَن أخَذَ بالحزم وقدَّمَ الحذر، فجاءت المقَاديرُ بخلاف ما قدَّر، كان عندهم أحمدَ رأياً وأوجبَ عذراً، ممَّن عمل بالتفريطِ وإن اتَّفقت له الأمور على ما أراد. ولعمري ما يكاد ذلك يجيء إلا في أقل الأمور**"[٢]، فالحذر واجب على أنه قد لا يقدم الفائدة التي قد يسوقها القدر تلقائياً للإنسان، فالمتكلم من أنصار العقل والحذر والحرص والتريث وليس من أنصار العجلة والاندفاع، ويمينه في هذه المسألة نابع من شدة حرصه على المتلقي آملاً أن يأخذ كلامه على محمل الجد.

ويقسم مؤيداً قول الحكماء: "**الصبر صبران... والحِلمُ حلمان... والصِّدق صدقان... والوفاء وفاءان... ولعمري ما غَلِطت الحكماء حين سمَّتْها أركانَ الدِّين والدُّنيا**"[٣]، فالالتزام بهذه الأركان الأخلاقية وكأنها أركان دينية إنما التزام بما ينفع صاحبه في حياة المعاش، والتزام بما يقره الدين فيرجع بالنفع على صاحبه في حياة المعاد، والقسم لتأييد قضاء الحكماء وحكمهم، فيحاول أن يدفع المتلقي وفقاً لمقامه في مجتمعه على الأخذ بأركان الدين والدينا والعمل بما يعتقد به الحكماء.

التعجب: يقول "**أردتُ خِبرة المشاهدة، فبلوتُ أخلاقك، وامتحنت شِيَمَك، وعجمت مذاهبَك على حينِ غَفَلاتك... وما قد شهدت لي به التَّجارِب، أنَّ ذلك منك طبعٌ غير تكلُّف. هيهاتَ! ما يكاد ذو التكلُّف أن يَخفَى على أهل الغَباوة، فكيف على مثلي من المتصفِّحين**"[٤]، فاستحالة غموض الحقائق في هذا الشاهد نابعة من نفاذ بصيرته وطول خبرته، إذ يبين ويظهر للمتلقي مدى ثقته به

١- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، ج١ نفسه، ص٩٩-١٠٠.

٢- السابق نفسه، ص١٢١-١٢٢.

٣- السابق نفسه، ص١٢٥.

٤- السابق نفسه، ص ٩٣-٩٤.

ووثوقه من معرفته الحياتية كونه من أنصار المعتزلة، محاولاً كسب ثقته للأخذ بكلامه وتقريبه من مكانته المرموقة في السلطة، معززاً عند المتلقي الشعور الإيجابي تجاه ثقة المتكلم به.

النتيجة:

إن رسالة الجاحظ الأدبية ذات منحى سياسي واجتماعي وأخلاقي، وقد أخذ الجاحظ على عاتقه أن يوجّه المتلقي إلى الأخلاق الحسنة ويبعده عن السيئة، واعتنى بالكيفية التي يُظهر فيها مقاصده، فأخذت أفعال الكلام دورها في جذب اهتمام المتلقي والتأثير فيه وتحريك ذهنه مراعياً في ذلك السياق الاجتماعي في عصره والسياسي في زمنه والديني بهدف الوصول إلى المقاصد المطلوبة في تبني الأخلاق المحمودة والتزام مبادئ المعتزلة في السلطة.

أمّا النتائج التي توصّل إليها البحث فهي:

١. إن إجراء مقاربات لغوية بين فيض النظريات الغربية الحديثة والتراث لأمر ضروري، فقد ساعدت هذه الدراسة –ومن قبلها دراسات متعددة– على إظهار المنزلة الثريّة التي يتبوؤها التراث في جوانبه اللغوية والفكرية، ومدى بعده الزمني عن النظريات الحديثة وقربه الفكري منها.

٢. لِكتب التراث عامة ولآثار الجاحظ خاصة حضور لغوي وفكري وأدبي يجعل من كلّ منهما مادة غنية للتحليل، وقد تبين من خلال تحليل رسالة "المعاش والمعاد" أنه حمّل ألفاظه قدرات وطاقات تجعل منها محركاً ومحرّضاً على تبني موقف ما، فالكلام ليس مجرد ألفاظ تُقال وينتهي دورها بمجرد النطق بها. وقد أثبتت نظرية أفعال الكلام أن الألفاظ عبارة عن أفعال تؤثر في المتلقي ليقوم بتعديل موقفه والعمل بمقتضى الفعل المطلوب، و"الجاحظ" في رسالته جعل من كلامه طاقة محرّضة على العمل، وقد ظهر ذلك في أسلوب الخبر والإنشاء، الأسلوب الذي شكّل البيئة اللغوية المناسبة لدراسة أفعال الكلام.

٣. إن فهم معنى الكلام والعمل بمقتضاه يرتبطان بالافتراض المسبق الذي يبنيه كلٌّ من المتكلم والمتلقي في ذهنه، فالمتلقي في فهمه فحوى الكلام يحتاج إلى خبراته المتراكمة ومعارفه المسبقة التي توجهه إلى القيام بالفعل اللازم، أو لجذب اهتمامه والتأثير فيه على الأقل، ويرتبط هذا الفهم على اندراج الكلام أساساً في سياقه المحدد.

٤. للسياق دور كبير في هذه الدراسة اللغوية، فقد اهتمت التداولية بالسياق الذي ظهر دوره واضحاً في أفعال الكلام من خلال اعتماد المتكلم عليه في بناء خطابه وصياغة أفعاله، مراعياً السياقات المختلفة الاجتماعية والنفسية والسياسية والدينية... بما في ذلك اهتمامه بمقام المتلقي، ففعل الكلام ونتائجه وآثاره تُبنى وفق سياقات محددة وتستمد تأثيرها منها.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. أبو السعود، صلاح، **المعتزلة نشأتهم فرقهم آرائهم الفكرية**، ط١، مصر: مكتبة النافذة، ٢٠٠٤.

٢. أبو ملحم، د.علي، **المناحي الفلسفية عند الجاحظ**، ط٢، لبنان- بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، تموز (يوليو)، ١٩٨٨.

٣. أوستين، جون لانكشو، ***نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام***، تر: عبد القادر قينيني، ط٢، المغرب- الدار البيضاء: أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٨.

٤. بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، تر: صابر الحباشة، ط١، سورية- اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٧.

٥. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، **رسائل الجاحظ الرسائل السياسية**، شرح د. علي أبو ملحم، الطبعة الأخيرة، بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٢.

٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، **رسائل الجاحظ ج١**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، القاهرة: مكتبة الجاحظ، الناشر مكتبة الخانجي، د.ت.

٧. حباشة، صابر، **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**، الإصدار الأول، سورية- دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨.

٨. ديك، فان؛ وآخرون، **نظرية الأدب في القرن العشرين**، تر: د.محمد العمري، د.ط، : أفريقيا الشرق، ١٩٩٦.

٩. راضي، د.عبد الحكيم، **الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ**، ط٣، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٦.

١٠. روبول، آن؛ موشلر، جاك، **القاموس الموسوعي للتداولية**، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مارجعة : خالد ميلاد، د.ط، تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا- سلسلة اللسان، د.ت.

١١. صحراوي، د.مسعود، **التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، ط١، بيروت- لبنان، دار الطليعة، تموز (يوليو)، ٢٠٠٥.

١٢. صمود، حمادي، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج**، د. ط، تونس:جامعة الآداب والفنون والعوم الإنسانية، د.ت.

١٣. عبد الجليل، د.عبد القادر، **علم اللسانيات الحديث نظم التحكم وقواعد البيانات**، ط،١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٤٢٢-٢٠٠٢.

١٤. القزويني، الخطيب، **الإيضاح في شرح البلاغة**، تحقيق وتعليق غريد الشيخ محمد، د.ط، بيروت- لبنان: إيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، د.ت.

١٥. كيربرات، كاترين؛ أوركيوني، **المضمر**، تر: ريتا خاطر، ط١، بيروت- لبنان: المنظمة العربية للترجمة، بدعم مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ك١-ديسمبر، ٢٠٠٨.

١٦. مانغونو، دومينيك، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، تر: محمد يحياتن، ط١، بيروت والجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، ١٤٢٨- ٢٠٠٨.

١٧. موشلار، جاك، روبول، آن، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، تر: د.سيف الدين دغفوس، د.محمد الشيباني، ط١، بيروت- لبنان: المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، تموز (يوليو)، ٢٠٠٣.

١٨. يول، جورج، **التداولية Pragmatics**، تر: د.قصي العتابي ،ط١، بيروت والرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، ٢٠١٠.

المراجع الأجنبية:

19. Austin، J.L، **How to do things with words**، the William james lecture delivered at Harvard university in1955، United Kingdom: Oxford university Press، 1962.
20. Yule، Gorge، **Pragmatics**، first published 1996، second published 1996. United Kingdom: oxford university press، 1996.

الدوريات:

٢١. الحيالي، د.عماد عبد يحيى ؛ النجار، د.أشواق محمد إسماعيل، **الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم**، مجلة جامعة تكريت، ع١، م١٥، ك٢/٢٠٠٨، ص٦٢-١٠٨.

٢٢. الزاملي، أ.د.لطيف حاتم عبد الصاحب، **الكلام عملاً مقاربة تداولية**، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، ع١، م١٦، ٢٠١٣، ص٤٧-٦٦.

بررسی زبانی افعال کلام در گفتمان جاحظ

رساله معاش و معاد به عنوان نمونه

مالک یاسین*، ملاذ حرفوش**

چکیده:

مسأله افعال کلام یکی از مسائلی است که محصول علم کاربرد شناسی زبانی (Pragmatics) است و این مسأله به فعل کلام و لازم فعل کلام و اثری که فعل کلام ایجاد می کند تقسیم می شود. کلام در گفتمان از لفظی بودن خارج می شود به فعلی که محقق می شود تبدیل می شود و این فعل در تحقق خود بر یک پیش فرض بین متکلم و مخاطب استوار است که در آن هر یک داشته های قبلی خود را می آورند تا کلام عملی شود که باید انجام شود و تمام آنچه گذشت بر اساس بافتی است که از مهم‌ترین عناصر کاربردشناسی به شمار می رود. هرچند کاربردشناسی یک شیوه عجیب به شمار می رود که اصطلاح فعل کلام و نظریه آن را ارائه داده، میراث ما در آثار ادبی خالی از این گونه پژوهش ها با رعایت فعل کلام نیست، اما اصطلاحات متفاوتی تحت عنوان اسلوب خبر و انشاء دارد. متکلم به هدف تأثیر گذاشتن در مخاطب و جلب کردن توجه او تلاش کرده است.

در این پژوهش سعی کرده‌ایم از این مسأله زبانشناسی چیزی بینابین نظریه غربی و نظیر آن در عربی استفاده کرده، آن را در یکی از مهم‌ترین منابع زبانی و فکری میراث بررسی کنیم تا غنای زبانی کتابخانه خود را زیاد کنیم و عمق آثار نگاشته شده توسط پیشینیان خود را نشان دهیم.

کلیدواژه‌ها: شیوه کاربردشناسی، فعل‌های کلام ، اسلوب خبر و انشاء، بافت.

* استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تشرین (نویسنده مسؤول).

** دانشجوی ارشد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تشرین malaz19harfosh86@gmail.com

A Linguistic Approach to the Speech Acts in Aljahez`s Discourse: The Example of *Earthly Life and After life Treatise*

***Malek Yaseen**, Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Tishreen University, Syria*
***Malaz Harfosh**, M.A. in Arabic Language and Literature, Tishreen University, Syria*

Abstract

The issue of speech act is a significant issue in pragmatics. Speech acts encapsulate lectionary, illocutionary and perloctionary forces. I have dealt with what is said in speech. What is said is an achieved action. To be achieved, this action depends on presuppositions or prior assumptions between the speaker and the recipient of speech. The speaker discusses his previous references to make his words an action which should be done. All of the above depends on the context. Although pragmatics is considered a western branch of knowledge and scholarship which has introduced the idea of speech act, our tradition is not devoid of similar ideas although they may have been expressed through other terms. In this research, we have tried to take a linguistic approach midway between western thinking and Arabic one and studying one of the most important linguistic and intellectual heritage resources to make our present linguistic knowledge base richer and reveal the depth our traditional knowledge.

Keywords: pragmatics, speech acts, statement, originative, context.